وجدة العاصمة الشرقية للمملكة المغربية أسسها زيري بن عطية منذ ألف سنة

نجيب خليفة - مكتب الدار البيضاء (قافلة التاريخ)

باني مدينة وجدة هو الزعيم المغراوي زيري بن عطية الذي استطاع أن يؤسس مملكة في المغرب الأقصى وكان في صراع مفتوح مع المنصور بن أبي عامر في الأندلس، والفاطميين وأنصارهم من الصنهاجيين في المغرب الأوسط. في هذه الظروف السياسية الصعبة، فكر زيري بن عطية (وحسب أغلب الروايات التاريخية) في ضرورة توسيع مملكته شرق عاصمته فاس وحماية ظهره من كل الأخطار المحدقة به من الناحية الشرقية، لهذا قرر بناء مدينة وجدة في شهر رجب سنة 384 هـ / 994 م.

الموقع الجغرافي والتاريخ

تقع مدينة وجدة في منبسط سهل أنكاد الذي يتميز بمعطيات مناخية تجعله قريبا من المناخ الصحراوي. إذ لا تتجاوز فيه التساقطات المطرية 150مم في أحسن المواسم. كما أن درجة الحرارة ترتفع فيه خاصة في فصل الصيف لتتجاوز 40 درجة. لكن رغم هذه الوضعية الطبيعية القاسية، فإن الكتب التاريخية والجغرافية التي اهتمت بالمدينة تصفها بكونها ذات منتوجات فلاحية متنوعة وبساتين ممتدة وثروة حيوانية وافرة. ولا شك أن هذا الغنى الطبيعي لهذه المدينة مرده للفرشة المائية الكبيرة جدا والتي كانت إلى عهد قريب ذات مستوى سطحي، فانبثقت عنها عدة عيون مثل عين طايرت وواحة سيدي يحي وعدة عيون في بوشطاط وواد إسلي. أسس الزعيم المغراوي زيري بن عطية مدينة وجدة في شهر رجب سنة 384 هـ / 994 ميلادية. وقد قام بتحصين المدينة عبر إحاطتها بالأسوار العالية والأبواب التي كان يتحكم الحراس في فتحها وإغلاقها. وظلت مدينة وجدة تتأثر

بموقعها الحدودي طيلة تاريخها الذي يتجاوز ألف سنة. وظهر هذا جليا بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر، فقد كان على مدينة وجدة وساكنتها احتضان المقاومة الجزائرية ودعمهم بالمال والسلاح خاصة على عهد الأمير عبد القادر الجزائري. وقد اقتنعت فرنسا أن مدينة وجدة هي الحلقة الأولى لاحتلال المغرب والسيطرة على الشمال الإفريقي والقضاء على القواعد الخلفية للمقاومة الجزائرية. فقامت بالضغط على المدينة بدعوى ملاحقة العناصر الثائرة ضد فرنسا، مما جعلها تدخل في حرب مع المغرب في معركة إسلي عام 1844م.

تقع مدينة وجدة في منبسط سهل أنكاد الذي يتميز بمعطيات مناخية تجعله قريبا من المناخ الصحراوي. إذ لا تتجاوز فيه التساقطات 150م في أحسن المواسم المطرية. كما أن درجة الحرارة ترتفع فيه خاصة في فصل الصيف لتتجاوز 40 درجة. لكن رغم هذه الوضعية الطبيعية القاسية، فإن الكتب التاريخية والجغرافية التي اهتمت بالمدينة تصفها بكونها ذات منتوجات متنوعة وبساتين

إحدى ساحات وجدة

العمارة الحديثة

ممتدة وثروة حيوانية وافرة. ولا شك أن هذا الغنى الطبيعي لهذه المدينة مرده للفرشة المائية الكبيرة جدا والتي كانت إلى عهد قريب ذات مستوى سطحي، فانبثقت عنها عدة عيون مثل عين طايرت وواحة سيدي يحي وعدة عيون في بوشطاط وواد إسلي.

تراث ثقافي وعمراني

: لا يمكن لزائر مدينة وجدة وهو يطأ ترابها لأول مرة إلا أن يقف على تاريخها الزاخر بموروث عمراني وأثري وتراث ثقافي سمح لها أن تتبوأ مكانة مهمة وتدخل في بوتقة المدن المغربية التاريخية، فأول ما يثير الانتباه هو المدينة القديمة والطابع الخاص العريق الذي تضفيه على مدينة الألفية من خلال والفنية المتواجدة في فناء بيت أندلسي المعمار ويتعلق الأمر ب«خزانة الشريف الإدريسي» وب«دار السبتي» التي توجد خارج أسوار المدينة القديمة كإحدى المعالم الأثرية تزخر بسحر الفسيفساء والنقوش والأعمدة الشامخة والتريا المتدلية والجدران المزينة. تعتبر حديقتا لالا عائشة و«للا مريم» فضاءا بيئيا ومتحفا أثريا ومسرحا يستقبل عشاق الطرب الأصيل في الهواء الطلق للاستمتاع بأمسيات موسيقية تتميز عروضها بجمالية أندلسية من الطرب الغرناطي.

واحة سيدي يحيى «شاطئ الفقراء» الأثري

: تتميز مدينة وجدة بفرشة مائية كبيرة

الأسوار المحيطة بها والساحات الناطقة بعبق التاريخ والممرات والمنافذ والقباب والصوامع الأثرية البديعة وبواباتها الضخمة الشهيرة كباب سيدي عبد الوهاب وباب الخميس وباب الغربي والباب الجنوبي المؤدي إلى القصبة وأقواسها المتقنة الصنع ومساجدها الشامخة كالمسجد الأعظم أو «الجامع الكبير» والذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة 1296م و«سقاقي ثلاثة» المحاذية له، ثم مسجد عقبة وجامع حدادة وجامع دالية... ومدرسة «سيدي زيان» العريقة التي بنيت في سنة 1907 ومازالت صامدة تذكر بتاريخ مدينة زيري بن عطية.

تتميز المدينة القديمة بفضاءاتها الثقافية

كانت إلى أمد قريب ذات مستوى سطحي ساعدت على تنوع المنتوجات الفلاحية والثروات الحيوانية وامتداد «الجنانات» أي البساتين التي كانت تمثل حزاما طبيعيا لمدينة وجدة، وتتوفر على عيون عدة مثل عين طايرت وعيون بوشطاط وواحة سيدي يحي، هذه الأخيرة التي مثلت محطة استجمام وراحة ومركز اصطياف أطلق عليها سكان المدينة «شاطئ الفقراء» وروضة غناء كانت ملاذا لهم ومحجا للعديد من سكان المدن المجاورة، يقصدونها إما للتبرك بالولي الصالح سيدي يحيى بنيونس الذي كان مقدسا ومحترما من طرف سكان مدينة وجدة، أو التمتع بسحر العيون المنبثقة من تحت النخيل والينابيع المتدفقة على طول واد سيدي يحيى والأحواض التي كانت تستعمل كمسابح للصغار والكبار، كما شكلت مياه سيدي يحيى في تلك الفترة مصادر لسقي أكثر من ألف هكتار من الأراضي الخصبة و«الجنانات»، واستعملتها النسوة في غسل الصوف والأفرشة. كما يعد غار «الحوريات» من بين أهم المواقع والمزارات بالواحة، يعود تاريخها إلى عهود جيولوجية قديمة، وقد أكد بعض علماء الآثار بأن منافذ هذه المغارة تؤدي إلى المنطقة الغربية من الجزائر خاصة منطقة تلمسان. ولم يكن ضريح الولي الصالح سيدي يحيى بنيونس، الذي يتميز بمكانة رمزية تاريخية، مزارا للمسلمين فقط بل كان ومنذ مئات السنين مزارا لليهود والنصارى، ومازال لحد الآن العديد من اليهود من بعض بلدان العالم كفرنسا، إسبانيا، أمريكا، فلسطين.. وغيرها يتوافدون عليه أثناء زياراتهم للمدينة، مما يؤكد وجود علاقة بين الولي واليهود، وقد اعتبر كتاب «طقوس الأضرحة والأولياء اليهود بالمغرب» لمؤلفه اليهودي «بن عمي» أن الولي سيدي يحيى بن يونس من بين 36 وليا الذين يتصارعهم اليهود والمسلمين. ومن الذاكرات البارزة لواحة سيدي يحيى نجد ذلك الموسم السنوي الصيفي أو ما يعرف باللهجة المحلية «الوعدة» والذي كان يشكل ملتقى دينيا واجتماعيا وسياحيا تحضره إلى جانب قبائل لأهل أنجاد بعض القبائل المجاورة بخيولها وفرسانها زيادة على قبائل من الشقيقة الجزائر.

ساحة باب سيدي عبد الوهاب

يعد باب سيدي عبد الوهاب البوابة الشرقية للمدينة القديمة والممر الرئيسي نحو الأسواق (سوق السمك، الجزارة، الأغطية والأفرشة، الملابس وسوق الذهب) من المعالم التاريخية، التي تشكل فضاء من الفضاءات الثقافية والإبداعية

القديمة واشتهرت بالتراث الشفوي الشعبي بأشكاله التعبيرية الغنية بطوابعها الدرامية والكوميدية مثل «الحلقة» التي تميزت بحشد جمهور كبير من المعجبين المواقين المولعين بالروايات التي أبدع الرواة في سردها للجمهور في قالب غني بالمواقف. وتنوعت «الحلقات» بتنوع أبطالها كل حسب اختصاصاته، حيث كان هناك المداح وهو «حلايقي» مختص في سرد الروايات الدينية بمساعدة شخصين أو أكثر للعزف على «الكلال» و«القصبة» وأحيانا «الغايطة» وكلها مفردات محلية لآلات موسيقية، وهناك أيضا الراوي والذي يعتمد في نشاطه على الحكايات الشعبية المستمدة من السير الشعبية المعروفة ومن قصص ألف ليلة وليلة دون التركيز على الروايات الدينية. كما تميزت ساحة سيدي عبد الوهاب بمرور عدة أشخاص بقيت أسماؤهم مرتبطة بها قدموا نماذج أخرى من الفرجة كـ«عبد الله المكانة» الذي اشتهر بخفة دمه وفصاحة لسانه وأدائه المميز للطرب البدوي المعروف في الشرق المغربي كما في الغرب

سورمدينةوجدة القديم

كنيسة قديمة

الجزائري، زيادة على بعض الشيوخ كالشيخ محمد القصاصبي، الشيخ محمد السهول، احمد ليو البركان وغيرهم... والذين خلفوا أثرا كبيرا في نفوس ساكنة مدينة وجدة من خلال إبداعهم في تقديم الفرجة على بساط ساحة سيدي عبد الوهاب.

المنتجعات والمعالم السياحية

-1 منتجع السعيدية سياحة شاطئية بامتياز

تأسست مدينة السعيدية (قلعة عجرود) سنة 1548م، وتقع المدينة على بعد 58 كلم شمالي وجدة و 100 متر من الحدود الجزائرية. تأوي المدينة أزيد من 18.000 نسمة وتعد من المنتجعات السياحية المغربية الواعدة، حيث تمتلك عشرات الكيلومترات من شواطئ رملية صفراء ومناخ متالي. شيد بها السلطان المغربي الحسن الأول قلعة ومسجدين.

سنة 1881، وفي سنة 1913 سيطر الفرنسيون على المدينة وأعلنوها تابعة لمحميتهم بالمغرب. وبعد الإستقلال ازدهرت المدينة نتيجة السياحة الداخلية وإقبال المصطافين المغاربة على شاطئها الجميل. وهي مدينة ساحلية تطل على الساحل المتوسطي.

-2 تافوغالت موطن الإنسان القديم

تقع مغارة تافوغالت بالمغرب الشرقي، على بعد حوالي 55 كلم شمال غرب وجدة. انطلقت الحفريات الأثرية بهذا الموقع منذ سنة 1951 من طرف مجموعة من الباحثين الأجانب وذلك بتعاون مع المغرب، وقد أسفرت عن مجموعة من النتائج المهمة أثبتت تعاقب مجموعة من الحضارات على الموقع وذلك منذ العصر الحجري القديم الأوسط.وسبق لجمعية الاحتفاء بالذكرى 1200 سنة على تأسيس مدينة فاس أن

نظمت مائدة مستديرة حول موضوع المغرب ما قبل التاريخ بحضور عدد من الأكاديميين المغاربة والأجانب، على رأسهم نيك بارتون من معهد الآثار بجامعة أوكسفورد. وتبقى أهم حضارة يعرف بها موقع تافوغالت هي الحضارة «الأيبروموريزية». يتميز هذا الموقع بأهمية الحصيلة الأثرية والمتمثلة في مجموعة من الهياكل العظمية والأدوات الحجرية والعظمية وكذلك الحلي وبقايا عظام الحيوانات. واكتشف فريق علمي مغربي بريطاني، تحت إشراف البروفسور بوزوكار عبد الجليل، حوالي عشرين من الصدفيات البحرية التي استعملها الإنسان القديم كحلي، في إطار الأبحاث الأثرية التي يقوم بها المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، بتعاون مع معهد الآثار بجامعة أكسفورد البريطانية، وذلك خلال الفترة الممتدة من 24 مارس إلى 24 أبريل 2008 داخل مستويات أركيولوجية يتراوح عمرها ما بين 84 ألف سنة و85 ألف سنة وبذلك تصبح هذه الحلي أكثر قدما من تلك التي تم اكتشافها عام 2003 بنفس الموقع، والتي اعتبرت آنذاك الأقدم في العالم، حيث نشرت نتائجها الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة سنة 2007. وينتظر أن يساهم هذا الإكتشاف

مرفق إداري

منظر عام لمدينة وجدة

الجديد في حل الإشكالية المتعلقة بمكان وتاريخ ابتكار الحلي لأول مرة في تاريخ الإنسانية من طرف الإنسان القديم، وفي الوقت نفسه التوصل إلى فهم أكبر لقدراته الفكرية وتنظيمه الإجتماعي. كما قام الفريق العلمي أيضا باكتشافات أخرى بالغة الأهمية بمغارة الحمام بتافوغالت، تتمثل في العثور على منطقة مخصصة لدفن الأطفال بلغ عددهم حتى الآن خمسة، ومؤرخة بحوالي 12 ألف سنة قبل الميلاد.

زوايا الجهة تنشيط للسياحة الدينية

-1 الزاوية البكاوية : تقع هذه الزاوية ببني وكلان في جبل بني يزناسن، أسسها علي البكاي بن محمد بن محمد، وينتمي نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب، ولقب بالبكاي لأنه كان كثير البكاء لفراق شيخه سيدي بوزيان. وتقام في الزاوية حاليا مختلف الأنشطة الدينية من ذكر وصلاة وغيرها، والغالب فيها هي الحضرة التي تقام كل خميس، كما يقام موسم سنوي في ضريح جد البكاويين في بني وكلان.

-2 الزاوية الرمضانية : توجد الزاوية الرمضانية بالسفوح الشمالية لجبال بني منقوش جنوب جراوة بحوالي ست كيلومترات قرب مدينة بركان و القريبة من مدينة وجدة، وسميت بهذا الإسم نسبة إلى الشيخ رمضان، الذي يعتبر مؤسسها الحقيقي، وهو الذي أعطى الإنطلاقة الأولى للطريقة الوزانية الطيبية بالمنطقة. وما زال الناس يقصدون هاته الزاوية للتبرك والسياحة.

-3 الزاوية الحمداوية أو زاوية زكزل : أسس هذه الزاوية مولاي احمد بن محمد

بن مولاي العياشي، وتقع زاوية زكزل في جبل بني يزناسن قرب قرية تافوغالت بمقربة مغارة الجمل. أما الطريقة الصوفية للزاوية فهي الطريقة التجانية والخلوتية، وذلك ما ذكره أحمد الغزالي. وبالنظر إلى سند الطريقة فرجالاتها غير مذكورين في نسب الدرقاوية إذ أنهم ينتمون إلى الخلوتية.

4- الزاوية البوتشيشية : يوجد مقر الزاوية البوتشيشية حاليا بقرب مداغ، ويرجع إنشاؤها إلى الشيخ المختار البوتشيشي القادري وذلك في عهد المولى عبد الرحمن (القرن 13 هـ)، وقد ساهم بعض أقطاب هاته الزاوية في محاربة الاستعمار الفرنسي إبان احتلاله الجزائر 1830 م حسب ما ذكره أحمد الغزالي «تعززت مكانة الزاوية بجهاد المستعمر الفرنسي الذي احتل القطر الجزائري سنة 1830 م، فكان أحد أقطاب الزاوية خير معين للأمير عبد القادر الجزائري ...». واستمر جهادها ضد الاستعمار على يد الشيخ المختار الثالث غداة احتلال وجدة عام 1907م. و لقب الشيخ المختار القادري ببوتشيش لأنه كان يقدم «التشيشة» كطعام لمريديه ولهذا سميت بالزاوية البوتشيشية. وقد

وسط المدينة ليلا

ساحة خضراء

عانت هاته الزاوية كثيرا من «بو حمارة» إذ أنه أقدم على إحراق الزاوية المعروفة بالدار البالية، أما سندها الصوفي فيتصل بالمولى عبد القادر الجلاني. وعرفت الزاوية البوتشيشية انتشارا واسعا على عهد الشيخ العباسي القادري لأنه كان متسامحا وكريما مع الكل وزاد انتشارها على عهد إبنه الشيخ حمزة ، و للزاوية مريدون في مختلف مناطق المغرب بل حتى في أوروبا.

5- الزاوية الدرقاوية أو الهبرية : تأتي في الأهمية بعد الزاوية البوتشيشية فهي اقل انتشارا وأتباعا من هاته الأخيرة، ومؤسس هاته الزاوية هو الحاج محمد الهبري العزاوي ويوجد مقرها بالمحل المعروف «بالضريرة» التابعة لأحفير وهي توجد على الحدود الجزائرية المغربية وقريبة من مصطاف السعيدية، ويرجع إنشاؤها إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي ببضع سنوات وتتميز هاته الزاوية عن الزوايا الأخرى بكونها تستعمل الطبل أثناء أداء «الحضرة» مع أناشيد وجدانية في قالب الشعر العربي وشيخها الحالي هو سيدي محمد المختار.